

## ملاحم المرأة في «بواكير محي الدين زهنگنه القصصية»

قراءة و رد

صباح الانباري

### العنونة والمقدمة

علينا أنه استطاع أن يخرج هذه البواكير للنور وأن يجعل أمر الاطلاع عليها ميسورا وممكنا. ونظرا لأهمية ما ورد في هذا الكتاب من الناحية الوثائقية والأدبية والفنية رأينا من باب الدقة والمسؤولية أن نتناوله بدءاً من غلافه الذي لم ينجح المصمم قادر ميرخان، على خلاف عاداته، في اختيار الشكل الملائم له والمعبر عن محتواه والذي طغى على خلفيته لون واحد ولكن بدرجتين مختلفتين غير موحيتين بماهية النصوص أو بمراحليتها، ولم تستطع صورة الكاتب بألوانها الباهتة وقدمها أن تضي على الغلاف جمالية مطلوبة في تصميم كتاب مثل كتاب البواكير فضلا عن طباعته المتواضعة في مؤسسة غير متواضعة

جاء كتاب د.فاضل عبود التميمي "بواكير محي الدين زه نكه نه القصصية" ليسد الثغرة التي خلفها كتابان لي، من قبل، عن منجز زكنه من النصوص المسرحية والقصصية التي طبعها فرادى أو مجاميع على امتداد مشواره الأدبي الطويل الحافل بالابداع والثراء (١). لقد مثلت النصوص التي تناولتها، في ذينك الكتابين، المراحل المتقدمة في منجزه الأدبي المطبوع ولذلك اكتفيت بالإشارة، فقط، الى بواكيره التي عدّها "بدايات سعيدة" لحياته الأدبية ولم يفكر يوما ما بطبعها كمجموعة في كتاب كما هو حال سائر المبدعين في مشارق الأرض ومغاربها. ولعل أولى فضائل التميمي

زمانها ومكانها " (القصص هنا تحديدا هي التي كتبها زكنه في بداية مشواره الأدبي) ويقول في خاتمة المقدمة الثانية أن الدراسة تسعى "إلى (قراءة) سرديات (طفولة) الكاتب". ومن خلال المقارنة بين المقدمتين لم نجد فرقا واضحا بينهما من حيث الجوهر والهدف والمحصلة النهائية، فكلتاها تتحدث عن زكنه ومنجزه الإبداعي وعن سعيها لقراءة قصصه البكر الأولى.

وانطلاقا من العنونة المحددة بالبواكير، أيضا، سنجد أن المقدمة الأولى لم تتناول الكتاب ومحتواه أو كيفية تناوله لبواكير زكنه الإبداعية كما يقتضي البحث الأكاديمي وإنما اكتفت بإلقاء الضوء على الكاتب ومنجزه من خلال فقراتها العشر الآتية:

الفقرة الأولى : لا أعرف أديبا يمقت الشهرة المصطنعة مثلما يمقتها الكاتب المسرحي، والقصصي، والروائي: محي الدين زكنه

الفقرة الثانية : منذ أكثر من نصف قرن والكاتب محي الدين زكنه يعمل بهمة مؤسسة .

الفقرة الثالثة : اما في ابداعه القصصي والروائي فهو متألق أيضا .

الفقرة الرابعة : هذا هو محي الدين زكنه الأديب والانسان .

الفقرة الخامسة: محي الدين زكنه، أشهر من نار على علم .

الفقرة السادسة: ترى لم يبخل النقد في حق المبدع حين يكون الأخير في اشد (الحاجة) الى كلمة حق لا يراد بها الا الحق.

الفقرة السابعة: يخيل لي أن الكاتب محي الدين زكنه لرفضه اليومي لأي شهرة تأتيه إنما يمارس ضربا من الرياضة الفكرية.

هي مؤسسة سردم للطباعة والنشر. أما عنونة الكتاب فقد جاءت مربكة بسبب استخدام الباحث لاسمين مختلفين في الرسم ، ل (زكنه) ومتطابقين في الدلالة إذ جاء الأول مرسوما بالحرف الكردي بدلا من الحرف العربي بعد أن ألقى التميمي من (محيي) ياءه الثانية وأضاف ل (زكنه) هاءين بديلتين عن حركة الفتح العربية ، فضلا عن جعله الكاف في (زكنه) منطوقا بالكردية أو الفارسية، ويقدر ما في هذه العنونة من اقرار بكردية اسم الكاتب وبطريقة رسمه بالحرف الكردي فان فيها مغايرة عما ورد في متن الكتاب فقد ورد الأول (محيي الدين زه نكه نه) في العنونة ولم يرد في المتن ورد الثاني (محي الدين زكنه) في المتن ولم يرد في العنونة. وكان الأولى أن يستخدم أحدهما دون الآخر في المتن والعنونة؛ ولما كانت العنونة تشي بدراسة "بواكير محي الدين زه نكه نه القصصية" تحديدا لذا وجدنا من غير الملزم تناول ما عداها كما حدث في المقدمتين اللتين اشتمل عليهما الكتاب واللتين تناولتا ، بشكل عام، منجز زكنه الأدبي حسب.

في مفتتح المقدمة الأولى (مقدمة الكتاب) يقول التميمي "لا أعرف أديبا يمقت الشهرة المصطنعة مثلما يمقتها الكاتب المسرحي، والقصصي، والروائي: محي الدين زكنه" وفي مفتتح المقدمة الثانية (مقدمة الدراسة) يقول "بدأ محي الدين زكنه (١٩٤٠-...)" حياته مهووسا بحب القصة" وداخل متني المقدمتين يسترسل في ذكر المنجز الأدبي والإبداعي لزكنه حتى تخلص كلا المقدمتين الى أن الكتاب أو الدراسة إن هي إلا محاولة لقراءة سرديات زكنه البكر، ففي خاتمة المقدمة الأولى يقول إن الكتاب اشتمل "على مقدمة، ودراسة، حاولت أن تقرأ القصص في ضوء

في البدء كانت البواكير...منها تلصص (الكاتب) بوعي أولي حاور الحواس، وأدام الصلة معها حتى اذا ما اكتملت أدواته المعرفية، والفنية كشف قناع الخوف ليبدأ مع نفسه، وأفكاره رحلة الألف ميل التي تبدأ عادة بخطوة واثقة غير متعجلة.)

بهذه الكلمات استطاع د. فاضل عبود أن يختصر رحلة الكاتب الطويلة التي ابتدأت من لحظات التلصص الواعي ومحاورة الحواس وانتهت بتجربة الكتابة الابداعية . لقد استطاع د.فاضل عبود دون غيره من الوصول الى تلك البواكير، وهذا ما يميزه كباحث دؤوب ومنقب يعرف كيف يزيل تراكمات الماضي من على تحف كاد أن يغييها الزمن . القى الأضواء على سيرة زنكنه منذ ولادته في كركوك ، ومنذ نشأته الأولى في بيت أبيه ، وتفردته عن مجاليه بحدة ذكائه وبقوة ذاكرته الانفعالية ، وقدرتها على استرجاع اللحظات التي غيرت مسار حياته وانعطفت به من الذات ومغامراتها الى الشعور بمصائر الناس وآلامهم محدثة قفزة نوعية في حياته وكتاباتاته التي لولاها لما كان زنكنه الذي عرفناه .

وضع الباحث يده على دفترين لزكنه (٢) : " الأول أخضر اللون، أحمر الكعب" ضمّ خمس قصص قصيرة كتبت بين الأعوام ١٩٥٥ - ١٩٥٧ ولم يطبعها زنكنه لسبب يحتمل الباحث أن له علاقة بـ "عدم رضاه عنها، وعزوفه عن نشرها فيما بعد".

ولنا أن نسأل إذن كيف وافق زنكنه على نشرها ضمن هذا الكتاب ؟

اما الدفتر الثاني والمغلف بجلد أسود فقد ضمّ أربع قصص نشرت اثنتان ضمن مجموعة زنكنه القصصية الأولى "كتابات تطمح أن تكون قصصا" وهما (السد

الفقرة الثامنة : هذا كتاب لا يتحدث عن محي الدين زنكنه الذي أنجز الى يومنا هذا متنا أدبيا مميزا في السرد بأنواعه .

الفقرة التاسعة: إن ذاكرة محي الدين زنكنه، هي ذاكرة أجيال مرت عليها خطوط الزمن.

الفقرة العاشرة: اشتمل الكتاب على مقدمة ودراسة حاولت أن تقرأ القصص في ضوء زمانها ومكانها.

اما المقدمة الثانية فقد تضمنت على الفقرات الثلاث الآتية:

الفقرة الأولى: بدأ محي الدين زنكنه (١٩٤٠\_...) حياته مهووسا بحب القصة ، قارئاً نهما ، ومتابعا فطنا لكل ما ينشر من قصص ، وروايات تقع تحت نظره.

الفقرة الثانية: لقد مال (زنكنه) الى القصة وعرف بها، ولكن ما لبث ان كتب المسرحية، والرواية أيضا .

الفقرة الثالثة: تسعى هذه الدراسة الى (قراءة) سرديات (طفولة) الكاتب محي الدين زنكنه

وهذه الفقرات لا تختلف جوهريا عما ورد في المقدمة الأولى بل انها تلتقي معها من حيث تناولها لمنجز زنكنه الابداعي وسعيها الى تقديم قراءة لبواكيره القصصية. عليه كان الأجدر أن تدمج المقدمتين في مقدمة واحدة وإن كان في هذا تجاوز على مقتضيات الدراسة المنهجية.

### البواكير

(في البدء كانت البواكير حاضنة النواة ، منها تسري رحلة البحث عن الذات لمواجهة (الأخر) وتشكيل الرؤية التي يتجاوز من خلالها معميات الاشياء.

يتحطم ثانية) و (حرمان)

تتميز قصص هذه المرحلة، كما يخبرنا الباحث، إن زكنه ذيلها بتواريخ تشير الى زمن الانتهاء من كتابتها ويستنتج من هذا أن زكنه

"فطن مبكرا الى أهمية توثيق نصوصه وهذا ما ظلّ يفعله حتى أيامنا هذه، وقد انجز الشئ المهم والكثير في المسرح، والقصة، والرواية."

ويخبرنا في الوقت ذاته أن زكنه لم يذيل قصص الدفتر الثاني بتواريخ انتهائه منها خلافا لما فعله في الدفتر الأول وهذا يضعف قوة الاستنتاج حتما . ويذكر أيضا أنه وجد

"الكاتب يزين عنوانات القصص بأشكال جميلة تمثل طيور البطريق، والبلابل، وهذا يؤكد نزعتها الرومانسية التي بدأ فيها الكتابة، ثم سرعان ما غادرها بفعل تحولاته الفكرية اللاحقة"

لقد شكّلت هذه التحولات المهمة انعطافة كبيرة وخطيرة في حياة زكنه الأدبية فصلت مرحليا مراهقته القصيرة نسبياً عن نضجه المبكر الذي بسببه استبعد زكنه قصصه الأولى من النشر مع أنها تستحقه فعلا خاصة تلك التي احتواها دفتره الثاني . إن زكنه ينظر الى قصصه بمنظار الناقد الحصيف الذي يقسوا كثيرا على نصه ولا يضعه في خانة القصة إلا بعد أن يقرر ذلك ولهذا رأيناه في مجموعته الأولى يختار لها عنوانة موحية بما ذهبنا اليه "كتابات تطمح أن تكون قصصا" فبدلا من أن يقدمها كقصص مستوفية لشروط القص والابداع وقوانينها يقدمها ككتابات بلا تحديد وضييف اليها، بتواضع جم، طموحها الى أن تكون قصصا مع أنها قصص فعلا باعتراف نقاد القصة والرواية ممن كتبوا عن هذه المجموعة وأحسب نفسي واحدا منهم .

إن هذا التحول المهم والكبير هو الذي جعله يغادر الكتابة عن المرأة وولعه بها بوقت مبكر قبل تبلور تجربته معها، ولا أظن د.فاضل مصيبا حين اعتبر كتابة زكنه عن المرأة في تلك المرحلة المبكرة من حياته قد أدت الى تبلور تجربته معها فضلا عن مطالبته لنا بتقديم الدليل على ما ذهبنا اليه، وهو على يقين تام من أننا لو كنا مطلعين على "تلك البواكير، ودلالاتها النفسية" لغيرنا من مسار رأينا السابق.

وهنا أطرح على د.فاضل السؤال الآتي :

هل يمكن أن تتبلور تجربة الكاتب مع المرأة في مرحلة مبكرة من مراهقته؟

لو عدنا الى البواكير وفتشنا فيها عن المرأة التي أرادها زكنه فماذا يمكن أن نجد؟ و من أي النصوص يمكن أن نستخلص دليلنا على تبلور تجربته معها؟ وعلى أي الشخص أسقط شخصيته الحقيقية وعلى أي النساء أسقط شخصية المرأة التي يريد؟

لنبدأ من القصة الأولى (أنا الليل) ولنبحث عن ملامح التجربة التي تشكلت عند زكنه القاص والانسان في أولى محاولاته القصصية شبه الناضجة . في القصة ثمة بوح شعري لذيذ، وحرز شفيف وآهات فتية سطرها الكاتب عبر محاوره رومانسية الأجواء بينه وبين الليل .

البوح بالحزن يحتاج الى شريك : "أجل اني أحتاج الى من يشاطرني أحزاني..بعد أن فقدت زهرتي التي لم اعرف في عهدها الحزن"

وفي هذا اشارة واضحة الى الحبيبة التي فقدها بمجرد ظهور رجل " اكثر نفوذا واغنى مالا" تمكن من استلابها والاستئثار بجمالها .. إنه هنا يتحدث عن نفسه وولعه بالمرأة أكثر مما يتحدث عنها أو عن

هذه القبلة المشوبة بالخجل والخوف والحياء والبراءة ما يشير الى جرأة في اقتحام عالم المرأة وتبلور التجربة معها؟

ربما يقول قائل وماذا عن تلك القبل الملهبة في وضوح النهار أليس فيها اقتحام لعالم المرأة ومطباته الخفية؟ ألا تعني أن تجربة الكاتب مع المرأة قد تبلورت حقا ؟

حسنا لنبحث عن هذا في قصة (اللحن الأخير). في هذه القصة وكما في القصة السابقة وجدت شخصية (أحمد) ثانية وهو يتحدث عن نفسه أكثر مما يتحدث عن حبيبته وهذا سلوك طبيعي لمراهق أحب وكتم وعانى ونسجت الهموم خيوطها على عينيه وشعر في لحظة من الزمن أن سعاد تخونه بنظراتها التي غرزتها في ذلك العازف الذي بهرنا لحنه الشجي ويستمر (أحمد) في تداعيات حرة ناسجا من خياله أوهاما واحلاما ورؤى ذاتية حتى صرنا نعرف عنه كل آهة من آهاته في الوقت الذي لم نعرف عن حبيبته سوى ما قرأناه في مفتتح القصة:

"أحبت الموسيقى والألحان

وطبيعي أن الدير خال

منهما مقفر... ليس فيه غير

تراتيل الرهبان ... ودقات

النواقيس... ففضت عمرها

مرددة أعلى ما وعته

الا وهو... اللحن الأخير..."

وفي خاتمتها التي جعلها الكاتب درامية الى حد البكاء:

"ولما التصقت شفتا سعاد بشفتيه ما كان فيهما الا بقايا من روحه المعذبة أودعت فيهما سعاد أنفاسها

جمالها فهي عنده زهرة شاء القدر أن يقطفها رجل آخر، عن طريق الخيانة، حسب. لقد أثر فعل الخيانة هذا في حياة الكاتب تأثيرا كبيرا جعله يعاود الكتابة فيه، بعد أن استبعده في كتابات ما بعد المراهقة، كلما وردت المرأة كشخصية في قصصه ومسرحياته، ولنا على هذا أمثلة كثيرة (٢) تدل على نضوج التجربة في مراحلها المتقدمة حسب.

في القصة الثانية ( قبلة في الظلام) ثمة امرأة تخون أخلص صديقاتها بدافع الغيرة التي سيطرت على مشاعرها متحولة الى رغبة انتقامية أدت الى موت جماعي على الطريقة الشكسبيرية. أما المرأة الثانية التي استطاعت بجمالها الملائكي وإخلاصها المطلق وبراءتها وورقتها أن تهيمن على قلب (أحمد) لزمن محسوب بحدود موتها بالسم فانها وإن كانت تحمل ملامح المرأة التي أرادها زكنه في مراهقته لم تتبلور تجربته معها بسبب موتها المبكر جدا. في هذه القصة وحسب استنتاجي الخاص أخفى زكنه شخصيته وراء شخصية (أحمد) وربما تعمّد أن يكتب عبارة مرنة التأويل على لسان سلوى وهي تدعوه الى البحر:

"تعال يا محيي آمالي"

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هذه القصة وأخرى غيرها، كما ذكر زكنه في مقدمة مجموعته البكر، تصور حياته في تلك الفترة تمام التصوير. وقد وجدت في كتاباته الاسترجاعية عن مدينته الأولى كركوك وتحديدا عن قلعتها إشارة بل اعترافا واضحا عن تلك القبلة الخجول التي أظلت طريقها الى شفتي حبيبته وسط ظلام تلك القلعة وهذا اعتراف واف بصحة كونها تصور تلك الفترة من حياته بالضبط، لقد قبّل (أحمد) محبوبته بحياء في الظلام فهل في

ذلك أن الزوج خرج من بيته تاركا رسالة يقول فيها:  
"زوجتي العزيزة..  
سمعت كل ما دار بينكما..وعرفت ان الحب قد  
ربطكما....."

ابق له يا عزيزتي ما دامت حياتك له"  
وعلى ما في القصة من مؤاخذة اجتماعية أشار  
اليها د.فاضل عبود في معرض تناوله لها ضمن البواكير  
إلا أننا لن نتوسع في هذا وسنكتفي،فقط، بالبحث عن  
دالات التجربة التي أكد د.فاضل على تبلورها.  
إن أول امتيازات هذه القصة عن سابقتها أنها  
أعطت المرأة مساحة أكبر تتحرك عليها وتفرض ذاتها  
وتروي حكايتها بشكل استبعد كل مؤثرات تبعيتها  
.إنها هنا تتحدث عن نفسها ،عن لوعتها ،عن كوامنها،  
بحرية، وبلا تردد تقرر، وتهب نفسها لمن تريد. ولكن  
من سوء الحظ إن زنكنه قد أعانها على هذا ضمن  
ظرف معقد وموقف شائك زعزع الثوابت الاجتماعية  
ولكنه لم يفلح في جعلنا نقرر بشكل نهائي وتام  
اقرارنا بحقيقة التجربة.

امتازت هذه القصة عن سابقتها أن المرأة فيها هي  
التي تروي، بطريقة أنا ضمير المتكلم، كل أحداثها  
بعد أن كان الرجل يخبرنا كل شئ عن نفسه وعننا  
في القصص السابقة.ومع أنها تقوم بنقل وقائع ما  
دار بينها وبين حبيبها إلا أنها لم تتجاوز ضعفها أمام  
قوته وضآلتها أمام هيمنتها وسيطرته على المواقف  
والاحداث.صحيح أنها استطاعت أن تنقل لحبيبها  
اغتلامها بعد أن كان مؤمنا بنوع فريد من العشق  
الروحي لها إلا أنها لم تستطع فرض أي مهيمن آخر  
عليه ولهذا رأيناها قد غادرها ولم يعد اليها على الرغم  
من دعوتها له:

الحارة، كأنها تريد أن تنفخ فيها من روحها .. وما  
رفعت شفيتها عن شفتيه إلا حينما شعرت بالبرودة  
التي سرت الى جسدها منتقلة من جسد عازفها الحبيب  
.. عازف اللحن الأخير".

هنا أعود لأسأل،مرة أخرى، أيمن لقبلة على شفة  
باردة وميته مثل شفة (أحمد) أن تكون دالا على  
اقتحامه عالم المرأة التي أراد؟ وهل يمكننا التعرف  
على كنه التجربة ولم تحدثنا القصة عنها الا من  
حيث كونها شخصية سقط أثر فعل الحب عليها  
حسب؟ ربما يسعفنا الحظ فنهتدي الى ذلك الدليل في  
قصة أخرى مع أنني موقن تماما أن القصص الأربع  
المتبقية لا تصور حياة زنكنه تمام التصوير بل تصور  
نظرتة الخاصة للتجارب التي سمع أو قرأ عنها أو  
شاهدها في الواقع أو من خلال شاشة السينما وهذه لا  
يمكن ان تنقل لنا شيئا عن خصوصية تجربة زنكنه  
مع المرأة التي أراد لأنه في هذه القصص بالذات بدأ  
بتدشين مرحلة فنية جديدة تقوم على جعل المتلقي  
يدرك كنه ما يريده الكاتب من خلال ما يطرحه  
الشخص السلبيون أو ما يعجز عن تحقيقه الشخص  
الايجابيون،فضلا عن قدرته على زعزعة المواقف  
والثوابت.

في قصة (تضحية) يقدم لنا زنكنه أنموذجا  
مختلفاً يسوّغ الخيانة الزوجية ولا يعممها، ويدعم  
ارتباط المرأة بغير زوجها ضمن معطيات ظرف خاص  
جدا ويبني القصة على أساس شكوك الزوج التي  
تتحول الى يقين بعد ان يسمع ويشاهد زوجته وهي  
تبت آهاتها للرجل الغريب وتندمج معه في عناق  
وتقبيل يثير لذة الغرام الكامنة في نفسيهما ثم يقطع  
هذا الشعور اللذيذ صوت صرير الباب لنعرف بعد

"أحمد..بالله..عد.."

ولكنه مضى.."

إن زكنه في هذه القصة يقدم لنا أنموذجا جريئا للمرأة التي اقتحمت حياة الرجل في مدينته ولهذا نراه يرفع إليها هذه الكلمات:

"الى التي جعلت من شفيتها كأسا ومن رحيقها خمرا...أرفع هذه السطور"

وكأنني به أراد الاحتفاء بها ودفعها الى الهدف مباشرة دون حاجة للتنازل عن دورها للرجل الذي تشتهيته حتى وان انتهى المطاف بها الى ان تستمر النار متأججة فيها جراء قبلته الأخيرة. لقد أراد زكنه لهذه المرأة أن تكون بمنتهى الجرأة والاقدام على ما تريد ولكن أهي المرأة التي أراد؟ وهل اقتحامها للرجل يعني تبلور تجربتها معه أو تبلور تجربته معها كما ادعى د.فاضل عبود من خلال تأكيده على الانسياق "خلف مغامرات القلب المراهق" أو اشارته الى وجود "قبلات في الظلام، وفي الضياء"، ثم ألا تتبلور تجربة الرجل مع المرأة الا من خلال القبلات والمضاجعات؟

في قصة (الليل والمطر) أتقن زكنه طريقة اللعب بمشاعر المتلقي وتوجيهها الجهة التي يشاء. إختار موضوعه حساسة ذات أثر مباشر وكبير على المشاعر الانسانية جعلها تتساوق مع الرغبات الكامنة التي أطلق العنان لسيلها الجارف ولم يوقفها إلا وهي في ذروة ما وصلت اليه من احتقان طوفاني أدى كما يقول د.فاضل عبود الى أن يكسب ثقة القارئ وأن يجيد عواطفه. الشخصية الرئيسة في هذه القصة هي شخصية رجل اعتاد أن ينام في بيت أخيه عندما يكون الأخير منشغلا بعمله كحارس ليلي لا يعود الى بيته الا عند الفجر وقد هئ غيابه هذا الأرضية الخصبة

لالتقاء رجل القصة بامرأتها . لقد أخذته الوسواس والأفكار والمشاعر الجنسية الى تصور امرأة أخيه وهي تلقي بنفسها عليه وزاد هذه الوسواس والأفكار تدفقا مشاهداته المتعمدة ،في غفلة منها، لأجزاء من جسدها البض والمثير. أن دور المرأة هنا دور ثانوي وحضورها في القصة تحقق من خلال تأثيرها الجنسي على الرغم من انتصارها المتمثل بهروب الرجل في النهاية إذ يعلن عن قوته شفاهايا وعن هزيمته فعليا:

"إنني قوي ، إنني قوي ... واندفع هاربا."

ولا أبيع سرا إن أنا قلت أن محي الدين زكنه في هذه القصة، وفي قصص أخرى، وجدناه مقتحما فعلا، كما ذكر د.فاضل، لحياة المرأة الجنسية ولم يكن متأنيا في الولوج الى عالمها. وهنا أود التأكيد على أن ما قلته بهذا الخصوص إنما عنيت به المراحل التي تناولتها في دراستي حسب، ولم تكن مرافقة الكاتب مشمولة بطبيعة الحال فيما عدا إشارتي الى أن زكنه منذ ذلك الزمن، زمن المراهقة، ظل يحمل في دخليته ملامح المرأة التي يريد، ولو انه استمر في الكتابة عنها، في مرحلة ما بعد المراهقة، لأمكننا الامسك بتلابيب تجربته معها ولخرجنا بيقين لا يحتاج الى برهنة على نضوج تجربته وتبلورها. لقد عزف زكنه عن موضوع المرأة في قصصه ولم يتناولها الا لماما، وظل الرجل طاغيا في حضوره داخل نصوصه القصصية والمسرحية الى وقت طويل. هذا من جهة ،ومن جهة أخرى وجدنا في كتاب البواكير ما يؤكد ذلك على لسان الباحث في تحليله لفكرة المقدمة التي كتبها زكنه إذ يقول على سبيل المثال لا الحصر:

"إن المجموعة كانت بمثابة التمرين الأدبي للكاتب ،يدل على هذا: عدم رضاه عنها، وعزوفه عن نشرها

١. امرازت قصص البواكفر بفنوحها نحو النفس القصصى الطوفل نسبفا والذف فاء بعد إن كطب زكنه ككفرا ومزق ككفرا ، وجرب ككفرا، فهو محصلة حاصل فهد زكنه المظنى ودأبه لافقحام عالم الكتابفة من بابه الواسعة.

٢. إن كل قصص المجموعة لم فتنال المرأة ككشفسفة محورية بارزة فف اءافئها، ومهمفنة فف أفعالها، وفارضة لوفؤها على مسافة القص فف فف فف القصة الوحفدة الفف كانت فروف الأءاف ففها (ذهب ولم فعد) ،وعلى الرغم من ضالة دورها وصغر مسافئها داخل النصوص الأخرى اسفطفنا فمس بعض ملامفها فف الوقف الذى ظف ملامفها الأخرى ففر واضفة، وربما فسرعف ففما مضى فأكدف على أنه كان فحمل، منذ زمن المراهقة ملامف المرأة الفف فرفد.

٣. فف المجموعة فمة ففارب ذاففة للكافب فاول الففمفم ففها واخفاءها وراء شفسففات لو فقفنا ففها لوفدنا ما ففشر الى ذلك خاصة فك الفف ففنا ففها على ما ففشر بالففد فف قبلفاه الففول فف قلعة كركوك.

٤. فسّم الكافب مجموعفاه على قسمفن :الأول فناول فف شفسففات ما تزال البراءة مهمفنة ففها ولم ففجاوزها بعد كما فف قصة (أنا اللفل) وقصة (قبلة فف الظلام) وقصة (اللحن الأخير). وناول فف القسم الفانى شفسففات ففطف ففود البراءة مقفحمة أبواب اللذة والافغفلام الى الشفهاف كما فف قصة (الفضففة) وقصة (ذهب ولم فعد) وقصة (اللفل والمطر).

٥. اخفاء المرأة فف كتابافاه ابفءاء من قصة (هففة الى سعادة الباشا) وقصة (السء ففحطم فاففة) فف

ففما بعد. " ففقول أيضا: "إن الكافب بعد أن عدّ مع نفسه هذه القصص فمارفن أدبفة، ففاوز بها، وبموضوعافها مرحلة معفنة أخذفاه الى مرحلة أخرى بءأ من فلالها ففف دوره فف الففا والأفب"

الكافب فذن، وكما ففقول البافء، لم ففف دوره فف الففا والأفب إلا بعد افففازه فك المرحلة المبكرة من ففاه. وهذا اسفناف سللم فؤكد صفة ما ذهبف ففه وإلا كفف فمكن أن ففبلور ففربفه مع المرأة ولم ففف دوره فف الففا والأفب بعد ؟

### الفافمة

فاء الفافمة لدراسة البواكفر قصففة ومقفضبة وسرففة ولكنها فف الوقف ذافه ففضمفنة على اسفنافاف البافء المهمة وهذا نصها:

" الففر فف مءونات مفف اللفن زكنه الأولى أعطى انطبافا واضفا عن بواكفر فمفززف باففراؤها من نص قصصى اففزن بموهبة أدبفة لفس من السهولة انكارها ...

بواكفر مفف اللفن زكنه حلم شاب فاول ان فؤكد ذافه ، وان فنففح على عالمه فكان له ما أراد من فلال حركة ابفال فبروا عن ففارب ذاففة عاشوها بصدق...

الكافب فف معالفه القصصفة للأءاف فقرأ الوافع فف سفافه الفافى، والعام وقال رأفه بصرافة فامة، وهو فففاعل مع شفسففاه بوصفها كانفان واففة فف عالم ففور بالفركة ، والصخب ، والاضفهاد، والفافة الفائمة الى الففا."

ومن فلال فراءفنا لبواكفر زكنه فضفف الاسفنافاف الآففة:

(٢) يذكر الباحث في ص ٣٣ وجود دفتر ثالث باللون الأزرق ومن خلال تدقيقي وجدت ان الدفتر المعني هو الدفتر الأخضر

(٣) المرأة في القصة الأولى كائن جميل يقدر الكاتب جماله الأخاذ ويهيم به أيما هيام ولكنه بفعل الغدر يورثه الحزن واللوعة. ألم يكن هذا هو حال الرسام الذي التقى بامرأة رائعة الجمال وشرع برسم ملامحها وهام بجمالها ثم صدم بحقيقة كونها بائعة هوى في مسرحية (موت فنان) ؟ ألم تكن الأم متآمرة على ابنها والأب متآمر على ولده من اجل التخلص منهما ليتسنى لهما فعل ما يرغبان به في مسرحية (حكاية صديقين) ؟ وثمالة في مسرحية (السؤال) ألم تخن زوجها مع صديقه التاجر الذي أمعن هو الآخر بخيانة زوجته ليلتقي وثمالة في خيانة مركبة ؟ و في مسرحية (الجراد) ألم تكن (الأم) مستعدة فعلا للتحول الى صف القوى الجرادية المعادية، و(العجوز) ألم تتآمر مع أخيها (المختار) ضد أبناء جلدتها(٢) وتطول الأمثلة التي لا أريد لها أن تطول وأنا بصدد البواكير. لقد تمكنا في هذه القصة من أن نضع أيدينا على بنية أساسية من أسس تجربة زنكنه مع المرأة الأ وهي عقدة الشعور بالخيانة والتي تبلورت في كتاباته اللاحقة.

(٤) راجع مقدمة زنكنه التقييمية لقصصه ص ٤٢ والتي كتبها بعد سنتين من تاريخ كتابة قصصه

مرحلة متقدمة من البواكير بفعل الانعطاف الفكري والوعي المبكر الذي أبعدته عن المواضيع ذات الشأن العاطفي والذاتي وقربه من الهموم الانسانية ذات القيم الموضوعية الرفيعة. فضلا عما ادخرته من شحنات درامية كانت بمثابة المؤشر الدقيق لجنوح زنكنه الى الكتابة المسرحية.

٦. ظهور الخيانة كبنية من البنى التي اهتم بها زنكنه في بواكيره وتناولها بنضج في نصوص ما بعد البواكير.

٧. لقد حملت البواكير، على وجه الدقة، بعض ملامح المرأة التي أرادها زنكنه ولكنها خلت من وجود ما يبرهن على تبلور تجربته معها لأسباب منها قصر التجربة التي لم تتعدى السنتين في مرحلة فيها من النرجسيات والجهالة والمراهقة، باعتراف الكاتب(٤) ما يجعل التجربة بسيطة ومتواضعة لم تبلغ النضج بعد، وعزوف الكاتب عن موضوعات المرأة و"العبث الصبياني" وانتقاله الى الاهتمام بهوم البشر وآلامهم وتطلعهم الى بناء عالم لا ينهش فيه الانسان لحم أخيه.

.....

(١) البناء الدرامي في مسرح محي الدين زنكنه

— دار الشؤون الثقافية العامة — بغداد ٢٠٠٢

السرد وتجلياته في قصص محي الدين زنكنه

— مجلة به يمين العربي ٢١/٧ آب / ٢٠٠٥